الرجل الشهادة راسا ولا يتذكرها ولا يمكن ان تنسى احدى المراتين وهى المذكرة لا على التعيين فتذكر التى
ضلت عما شهدت فيه فان خبر الله صدق بلا شك وهو قد اخبر فى هذه الآية ان احديهما تذكر الاخرى فلا
بد ان تكون الواحدة لا تضل عن الشهادة ولا تنسى فقد اتصفت المراة الواحدة فى الشهادة باخبار الحق عنها بصفة
الهية وهو قول موسى الذى حكى عنه فى القرآن لا يضل ربى ولا ينسى فلو لم يكن فى شرف التانيث الا اطلاق
الذات على الله واطلاق الصفة وكلاهما لفظ التانيث جبر القلب المراة الذى يكسره من لا علم له من الرجال بالامر
وقد نهانا الشارع ان نتفكر فى ذات الله وما منعنا من الكلام فى توحيد الله بل امر بذلك فقال فاعلم انه لا اله الا
الله واستغفر لذنبك وهو هنا ما يخطر لمن نظر فى توحيد الله من طلب ماهيته وحقيقته وهو معرفة ذاته التى
ما تعرف وحجر التفكر فيها العظيم قدرها وعدم المناسبة بينها وبين ما يتوهم ان يكون دليلا عليها فلا يتصورها وهم
ولا يقيدها عقل بل لها الجلال والتعظيم بل لا يجوز ان يطلب بما كما طلب فرعون فاخطا فى السوال ولهذا عدل
موسى عن جواب سواله لان السوال اذا كان خطا لا يلزم الجواب عنه وكان مجلس عامة فلذلك تكلم موسى بما تكلم
مطلب
فى ان السوال اذا كان خطاء لا يلزم الجواب
به ورأى فرعون انه ما اجابه على حد ما سال لانه تخيل ان سواله ذلك متوجه وما علم ان ذات الحق
تعالى لا تدخل تحت مطلب ما وانما تدخل تحت مطلب هل وهو سوال عن وجود المسؤل عنه هل هو
متحقق ام لا فقال فرعون وقد علم ما وقع فيه من الجهل اشغالا للحاضرين لئلا يتفطنوا لذلك ان
رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون ولو لا ما علم الحق فرعون ما اثبت فى هذا الكلام انه ارسله مرسل
وانه ما جاء من نفسه لانه دعا الى غيره وكذا نسبه فرعون الى ما كان عليه موسى فوصفه بانه مجنون
اى مستور عنكم فلا تعرفونه فعرفه موسى بجوابه اياه وما عرفه الحاضرون كما عرفه علماء السحرة
وما عرفه الجاهلون بالسحر وبقيت تلك الخميرة عند فرعون يختمر بها عجين طينته وما ظهر
حكمها ولا اختمر عجينه الا فى الوقت الذى قال فيه آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل
وما سمى الله ليرفع اللبس اذ قد علم الحاضرون ان بنى اسرائيل ما آمنت الا بالاله الذى جاء
موسى وهارون من عنده اليهم فلو قال آمنت بالله وقد قرر انه ما علم لقومه من اله غيره لقالوا
مطلب
فيه اشارة الى ايمان فرعون
لنفسه شهد لا للذى ارسل موسى الينا كما شهد الله لنفسه فرفع هذا اللبس بما قاله واما تحقيق
هذه المسئلة فما يعرف ذلك الا من يعرف مرتبة الطبيعة من الامر الالهى فان المراة من الرجل
بمنزلة الطبيعة من الامر الالهى لان المراة محل وجود اعيان الابناء كما ان الطبيعة للامر الالهى

محل

محل ظهور اعيان الاجسام فيها تكونت وعنها ظهرت فامر بلا طبيعة لا يكون وطبيعة بلا امر لا يكون
فالكون متوقف على الامرين ولا تقل ان الله قادر على ايجاد شىء من غير ان ينفعل امر آخر فان الله
يرد عليك فى ذلك بقوله انما قولنا لشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فتلك الشيئية العامة
لكل شىء خاص وهو الذى وقع فيها الاشتراك وهى التى اثبتناها وان الامر الالهى عليها يتوجه
لظهور شىء خاص فى تلك الشيئية المطلقة فاذا ظهرت الاجسام او الاجساد ظهرت الصور
الاشكال والاعراض وجميع القوى الروحانية والحسية وربما هو المعبر عنه بلسان الشرع العماء
الذى هو للحق قبل خلق الخلق ما تحته هواء وما فوقه هواء فذكره وسماه باسم موجود يقبل الصور والاشكال
وقد ذكرنا مرتبة الطبيعة وهى هذه الشيئية المطلقة فى كتاب النكاح الاول الذى ظهر عنه العالم اسفله
واعلاه وكل ما سوى الله من كثيف ولطيف ومعقول ومحسوس متصف بالوجود فلا نعرف منها الا قدر
ما يظهر لنا كما لا نعرف من الاسماء الالهية الا قدر ما وصل الينا فمن عرف مرتبة الطبيعة عرف مرتبة
المراة ومن عرف الامر الالهى فقد عرف مرتبة الرجل فان الموجودات مما سوى الله يتوقف وجودها
على هاتين الحقيقتين غير ان هذه الحقيقة تخفى وتدق بحيث يجهلها ابناؤها من العقول فلا
يثبتها فى العالم البسيط ويثبتها فى العالم المركب وذلك لجهلها بمرتبتها كما جهلت هنا مرتبة المراة
مع تنبيه الشارع على رتبتها بقوله ان النساء شقايق الرجال فالامر بينهما يكون علوا وسفلا الا
ترى التجليات والروحانيات المتجسدة هل تظهر فى غير صورة طبيعية وان كانت تلك الاجسام
سريعة الاستحالة فلم تخرج عنها وهذا منزل واسع يتسع المجال فيه فلنذكر امهات ما يتضمنه من
المسايل دون التفريع فمنها من اى مقام ينادى المومن وهل يختلف النداء باختلاف المنادى
ام لا وهذا المنزل ايضا علم سبب العداوة بين الله وبين خلقه وهل من شرط العداوة ان توجد من
الطرفين او من الطرف الواحد وهل يعادى احد من اجل احد او لا تكون العداوة الا من اجل نفسه
لا من اجل غيره وعلم القاء المحبة فى القلوب وثباتها فيه وهل القاؤها انتقال وجودى او خلق يخلق
فى المحل وهل من شرط الحب المناسبة ام لا وعلم التغريب عن الاوطان لموجب النقيض وعلم مشقات
السبل الالهية وعلم طلب الرضا فى المنشط والمكره وعلم السر والعلن وعلم الحيرة عن طريق خاص
وعلم محبة الستر على التجلى وعلم ثبات السبب الموجب لقطع ما امر بوصله فيكون قطعه قربة

Copyright © King Saud University